إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة العاشرة ـ العدد الأربعون ـ شتاء ١٣٩٩ش/ كانون الأول ٢٠٢٠م
صص ٤٧ ـ ٢٥

دراسة العناصر الثقافية فى النسوية الإيكولوجية؛ رواية شجرة تين الأصنام أنموذجاً

خديجه بهرامى رهنما*

الملخص

النسوية الإيكولوجية أو البيئية هى إحدى الحركات التى ترفض أى نوع من الهيمنة وازدواجية التسلسل الهرمى للرجال/النساء والتناقضات والصراعات بين الاثنين. ترى هذه الحركة أن الهيمنة والعنف ضدّ الطبيعة والمرأة وسيطرة الثقافة الذكورية والعديد من المتغيرات الأنثوية، قد فُرضت على النساء فرضا ذكورياً. إن إنكار القيم الأنثوية، وهيمنة الرجال وسيطرتهم، سواء على الطبيعة الأم أو على النساء، هى من أهمّ الترابطات بين الهيمنات غير المبرَّرة على النساء والطبيعة التى تصوّرها رواية شجرة تين الأصنام. ومن ثم، فإن البحث الحالى قد تطرق وصفياً- تحليلياً إلى الترابط بين النساء والطبيعة، والعنف ضدّ الطبيعة والمرأة، وأيديولوجية التفوقية (المرتبة العليا) للرجال والإخضاع (المرتبة الأدنى) للمرأة فى رواية شجرة تين الأصنام، وذلک باستخدام آراء النظرية النسوية الإيكولوجية. وتُظهر نتائج البحث أن المرأة وثيقة الصلة بالطبيعة وقد أظهرت ردّ فعل قوياً ضدّ تدميرها وتدمير الطبيعة على حدّ سواء. وأن العنف ضد الطبيعة والمرأة، وتسليع المرأة، والنظرة الأداتية للمرأة، واستغلال كل من النساء والطبيعة، إنما هو تعبير عن هيمنة السلطة الذكورية وكذلک تهميش المرأة، وقد انعكس هذا بشكل جليّ فى الرواية المذكورة.

الكلمات الدليلية: النسوية الإيكولوجية، شجرة تين الأصنام، الهيمنة الذكورية، تسليع المرأة، العنف.

---

*. أستاذة مساعدة فى قسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع يادكار الإمام الخمينى(ره) شهرری، جامعة آزاد الإسلامية، طهران، إيران bahramirahnama@yahoo.com
تاريخ الاستلام: ١٣٩٩/٤/٥ش تاريخ القبول: ١٣٩٩/٩/١٩ش

المقدمة

النسوية الإيكولوجية أو البيئية هى إحدى النظريات الجديدة فى مجال النقد الأدبى وإحدى الموضوعات متعددة التخصصات التى أرست قواعد العلاقة والترابط بين "الإيكولوجيا" و"الحركة النسوية". ففى النقد الإيكولوجى، «يأتى الأدب فى جانب والبيئة فى جانب آخر» (پارساپور،١٣٩٢ش: ٨٨)، والنسوية أيضاً «تطرّقت إلى اضطهاد الرجل للمرأة وبتبيين أسبابه ونتائجه، وضعت استراتيجيات لتحرير المرأة من ذلک.» (تانغ، ١٣٩٤ش: ١٥)

ابتكرت «فرانسوا دوبون[1] فى كتاب "النسوية أو الموت"[2] مصطلح النسوية الإيكولوجية لأول مرة.» (عزيزى وتقوى، ١٣٩١ش: ٥١) تؤمن حركة النسوية البيئية بأن هناک علاقة هادفة ومباشرة بين الطبيعة والمرأة من جهة، ومن جهة أخرى، تسعى هذه الحركة إلى تفسير الرأسمالية ومعاملتها للنساء والطبيعة، وتتطرق إلى محاربة أى قوة تسعى إلى تبرير هيمنة الذكور على الطبيعة والمرأة، وتريد «وضع تحرير المرأة ومنع تدمير البيئة فى معركة واحدة.» (محمدى أصل، ١٣٨٨ش: ١٠٦) يعتقد أنصار هذه الحركة أن «المرأة والأرض، كلاهما معرّضتان للنهب والسلب، وتُجَرّدان من الملابس، ومعرّضتان للاغتصاب. وفى الواقع، إنهما ضحايا العنف الجنسى لمن ينظرون بجشع وطمع إلى النساء والطبيعة، وهكذا، فإن نفس المفاهيم الخاطئة التى تجعل المرأة فى نظر الرجل ككائن معرّض للاغتصاب، فيما يخص الطبيعة أيضاً، فهى تتبع تلک المفاهيم من قبل البشر الذين يعتقدون أنه ليس لديهم سوى مصالحهم الخاصة وجشعهم، فيرون أن الطبيعة مستعدة للاستغلال.» (Warren,1990: 125-146)

نمت النسوية الإيكولوجية فى مجالى "النسوية الإيكولوجية الثقافية" و"النسوية الإيكولوجية الاجتماعية" فى ظلّ تقييم علاقات القوة والسلطة بين الرجال على الطبيعة والمرأة. اكتشفت النسوية الإيكولوجية الثقافية وجود علاقة عميقة وإيجابية للغاية بين المرأة والطبيعة. وترى هذه الحركة أن إحدى سمات الترابط بينهما يتحدّد

1. Françoise d'Eaubonne
2. Feminism or Death

بالذات فى الإنجاب والتوليد. ومن ثم، تعتبر النساء أفضل دعاة لحماية البيئة بالنسبة للرجال. تؤمن النظم النسوية البيئية الاجتماعية أيضاً أن المرأة والطبيعة تخضعان لمجتمع يهيمن عليه الرجال؛ «المرأة، من خلال الأدوار التى تلعبها، فى وضع أفضل للحديث عن الطبيعة من الرجال لكونها تشارك الطبيعة فى تجربة الهيمنة.» (Bukingham Hatfield,2000: 35) لم تكن الطبيعة فى مأمن من الأضرار والهجمات التى تتعرّض لها من قبل الرجال ودائماً ما تمّ استغلالها بشكل مضاعف. مع هيمنة الثقافة الذكورية فى المجتمع، كانت المرأة دائماً خاضعة للرجل باعتباره صاحب السلطة، وقد عانت كثيراً وتعرّضت لأضرار فادحة، لذلک كانت الطبيعة والمرأة تحت منطق السيطرة الذكورية. وهكذا، اقترحت النظم النسوية البيئية أربعة مفاهيم رئيسة لشرح هيمنة الرجال على الطبيعة والنساء هى: «١. المحاسبة ٢. الرجال أكثر ارتباطا بالثقافة والنساء أكثر ارتباطا بالبيئة. تعتبر الثقافة متفوقة على البيئة. وبالتالى، فإن المرأة والبيئة يهيمن عليهما الرجال الذين يُعتبَرون المسيطرين على الموارد البيئية. وبما أن المرأة مرتبطة بالبيئة، فحصّة المرأة والبيئة من المكانة الاجتماعية دونية. ٣. يحدث اضطهاد المرأة والطبيعة فى وقت واحد، والمرأة هى المسؤولة عن إنهاء مركزية الهيمنة الذكورية على كليهما. ٤. تسعى النسوية البيئية إلى الجمع بين النسوية والتفكير البيئى، لأنهما موجّهتان نحو بنية ترفض التسلسل الهرمى وتقوم على المساواة.» (عنايت وفتحزاده، ١٣٨٨ش: ٤٧- ٤٦)

تسعى النسويات الإيكولوجية إلى مكافحة التقسيم الطبقى الاجتماعى، والطبقية، والاستغلال، والهيمنة، والسلطة، والتمييز الجنسى ضد الطبيعة والمرأة. وتعتقد أنه لا ينبغى تهميش المرأة واعتبارها سلعة تباع للرجل، بل يجب أن يكون لها دورٌ أساس فى المجتمع.

يسعى أحمد محمود فى رواية شجرة تين الأصنام إلى شرح ثقافة الطبيعة كأم وإظهار دور المرأة التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة. فى هذه الرواية، يتم تصوير تدمير البيئة من قبل الرجال، مما يشير إلى هيمنة النظام الرأسمالى على الطبيعة والنساء. لذلک، تسعى الورقة البحثية هذه، إلى شرح حركة النسوية البيئية الثقافية فى هذه الرواية لإظهار ما تخلّفه السيطرة المتزامنة للرجال على الطبيعة والمرأة، وكذلک لتقديم تحليل

مناسب لهيمنة السلطة الذكورية وقوة الرجل وتفوقه ودونية المرأة.

أسئلة البحث

١. ما هى العوامل التى تعكس الترابط بين المرأة والطبيعة فى رواية شجرة تين الأصنام؟

٢. كيف استطاعت هيمنة النظام الذكورى أن تسيطر على الطبيعة والمرأة فى هذه الرواية؟

٣. ما هى الأدوات التى استخدمها النظام الذكورى فى هذه الرواية للعنف ضد المرأة والطبيعة؟

خلفية البحث

هناك القليل من الأبحاث أنجزت حول "النسوية البيئية"، نشير إلى بعضها:

زهرا پارساپور وآخرون. (١٣٩٦ش) "قراءة نسوية بيئية لرواية ألم الحرب على أساس الترابط الثقافى والرمزية". وأظهرت نتائج البحث أن الشخصيات النسائية ترتبط بالطبيعة من حيث الجمال والجاذبية، لدرجة أن الظواهر الطبيعية تحلّ محل المرأة فى عقلية الجنود. فى هذه الرواية، يتم اغتصاب المرأة والطبيعة على جانبى المعركة على حد سواء، وهذا العامل يخلق مأساة مؤلمة خلال الحرب. تبيّن الرواية أيضاً آثار الحرب على النساء، والتى تحمل تشابهاً كبيراً للطبيعة الجريحة لفيتنام ما بعد الحرب. وهناك بحث آخر قام بإعداده حليمة عنايت، وحيدر فتح زاده (١٣٨٨ش) بعنوان "مقاربة نظرية لمفهوم الحركة النسوية البيئية". تتطرق هذه المقالة إلى كيفية نشأة الحركة النسوية البيئية، وتدرس أوجه القصور الاجتماعية فى إيجاد حلول للمشاكل البيئية التى يتصارع معها العالم الحالى، ثم تشرح هيمنة الرجال. وثمة ورقة بحثية أخرى ليوسف قويدل رحيمى (٢٠٠٧) بعنوان "فرضية غايا وتأسيس مواقف جديدة فى العلوم الطبيعية". وتظهر نتائج البحث أن نظرية غايا أدت إلى ظهور مجموعات من دعاة حماية البيئة، وخاصة النسوية الإيكولوجية. تعتقد هذه المجموعات أن البشر لا ينبغى لهم أبداً التلاعب بالنظام الطبيعى للأرض أو تغيير أى جزء منه. فبعد المراجعة للدراسات المشابهة، لم يتم العثور على بحث يطابق والدراسة الحالية.

منهج البحث

تناول هذا البحث رواية شـجرة تين الأصنام بالتحليل والدراسة بناءً على النظرية النسوية البيئة الثقافية معتمداً المنهج الوصفى-التحليلى.

تلخيص الرواية

فى منزل اسـفنديار آذرباد السكنى، توجد شـجرة تسمى "تين الأصنام" (أو لورا أو ميموزا أو ليل) والتى يقدّسـها الناس وتحمل كرامات عديدة؛ منها الشفاء ودفع البلايا وما إلى ذلک. بعد وفاة اسـفنديار تزوّجت زوجته أفسـانه من شخص يدعى "مهران". وعهدت إليه أفسـانة بحضانة أبنائهـا فرامرز وفرزانة وكيوان. بعد فترة، أنشـأ مهران أرضية لإدمان أفسـانة وفرامرز بالمخدّرات. بعد وفاة أفسانة، أصبح مهران مالكاً لكل ثروات عائلة اسفنديار من خلال تزوير وثائق، ومع تدمير عريشة كبيرة فى المنزل، أقبل مهران على بناء العمارات والمجمّعات. وفّر موت أفسـانه أرضية مناسـبة لانهيار هذه العائلة. ذهب كيوان إلى الخارج لمواصلة تعليمه ولم يَعُدْ أبداً. سُـجن فرامرز، وانتحرت فرزانة، وخرجت تاج الملوک شـقيقة اسـفنديار من المنزل وانتقلت إلى مكان آخر. ثم حاول مهران قطع شـجرة تين الأصنام والبـدء فى بناء المجمّعات، الأمر الذى أثار ردّة فعل قوية من الناس. ثم دخل فرامرز الرواية فى هيأة واعظ ذى عينين خضراوين لينتقم من مهران لنفسه وعائلته. لذلک، من خلال إثارة مشاعر الناس حول قيام مهران بقطع الشجرة، هيّأ مهران الأرضية لقتله، وأضرم النار فى المدينة حتى عمّتها الفوضى.

تحليل النسوية البيئية الثقافية فى رواية شجرة تين الأصنام

الترابط بين المرأة والأرض (الطبيعة)

ترتبط النسـاء ارتباطاً وثيقاً بالأرض وكلاهما يُعتبر رمزاً للخصوبة. اعتبار الأرض الأم البدائيـة أو الإلهـة الأم وامتيازهـا بالخصوبة، يعدّ أولى تجليـات الأرض ويمكن اعتبارها رمزاً للخلق أيضاً. الأرض تمثّل الصور المثالية ويتم إحياؤها باسـتمرار فهى تـزرع بذرة فى رحـم الأرض، ثم تثمر. لذلک فإن القـوة العظيمة الموجودة فى الأرض والـتى تمنـح الحياة لكل شـىء غير حى وعقيـم، تقرّبها من المـرأة وأداء دورها. حمل

"أفسانة" و"زرى" ابنة يد الله وإنجابهما الأطفال صورة أبدية لولادة الأرض. وهكذا «كان الدور المهم والأهم للمرأة فى بداية الفترة الزراعية، خاصة عندما كانت هذه الحرفة لا تزال من اختصاص المرأة؛ يبرر الدور الذى لا تزال المرأة تلعبه فى بعض الحضارات.» (المرجع نفسه: ٢٥١)

بما أن الأرض هى آلهة الأم وقد احتضنت جميع البشر بكل تودد ولطافة، فإن النساء أكثر تعلّقاً وترابطاً بالأرض. فى هذه الرواية هناك شخصية تُدعى تاج الملوك، ترى استحالة مغادرة مسقط رأسها قائلة: «لا يا عزيزى فرامرز! أنا أعيش فى هذا المكان بكل ما يحمله من ذكريات. لقد ولدت وترعرعت فى هذه المدينة. كل ركن فيها ذكرى من الذكريات. لو غادرت هذه المدينة سأكون كالرضيع حين ينفطم عن ثدى أمه، لعلّى أموت قبل أن يحين الأجل.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٤٢١)

الترابط بين المرأة والأشجار

لطالما كانت الشجرة موضع اهتمام البشر على مرّ العصور. «الشجرة مظهر من مظاهر القوة فى الوجود، وفى الأديان القديمة تحمل بُعداً روحياً.» (صدقه، ١٣٧٨ش: ١٤٢) «تشير الشجرة إلى حياة الكون واستمراريته ونموّه وتكاثره ولها إمكانية فى عمليات التوليد والتجديد. الشجرة هى مَعين لا ينضب وتعادل رمز الخلود.» (غرين وآخرون،١٣٩١ش: ١٦٥) فى هذه الرواية، تُقدَّس الشجرة من قبل النساء وتنشأ معتقدات حولها، نشير هنا إلى بعض منها؛

تكريم الشجرة

الشجرة دائماً فى حال الإحياء والخصوبة، و«عبادة الأشجار رائجة بين جميع العائلات الأوروبية الكبرى من السلالة الآرية.» (فريزر، ١٣٩٤ش: ١٥٢) لذلك، فإن النساء فى هذه الرواية يجعلن الشجرة مصدر الحياة، ويقدّسنها. «تنحنى تاج الملوك قليلاً أمام الشجرة ثم تستقيم.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج٢: ٧٣٨)

دفن الجنين تحت الشجرة

يشير دفن الجنين تحت الشجرة إلى السلالة النباتية للإنسان أو العلاقة بين النبات والبشر. «تؤكد أساطير الأمم المختلفة أن الإنسان ولد من شجرة ويوجد فى الملاحم الهندية، أن الإنسان ولد من قصبة. فى مدغشقر، يُعتقد أن الإنسان ولد من شجرة موز. وفى الأساطير الإيرانية، دخلت روح الرجل الأول، كيوميرث، الأرضَ بعد موته ومضى أربعين عاماً، فأصبح نباتاً، تحوّل فيما بعد هذا النبات إلى إنسان.» (صدقة، ١٣٧٨ش: ١٤٤)

ورد فى هذه الرواية "دفن الجنين تحت شجرة تين الأصنام": «أنا معک يا أبا جابر احمل مجرفة وانطلق واحفر الأرض تحت شجرة لورا ... يتصبّب حامل الراية عرقاً ليصنع الفتحة فى القاعدة. دادا يضع قطع اللحم التى لفّها فى ضمادة، فى الحفرة.» (محمود ١٣٧٩ش، ج١: ٣٧)

فى ألمانيا، «تُدفن مشيمة المولود عند سفح شجرة مثمرة. فى إندونيسيا، تُزرع النباتات حيث تُدفن المشيمة. وفى مثل هذه الطقوس والتقاليد، تكشف العلاقة السرية بين نمو الشجرة ونمو الإنسان.» (إلياذه، ١٣٩٤ش: ٢٩١-٢٩٠) «كان وضع الموتى فى بطن شجرة فارغة عملاً رمزياً يرمز إلى انبعاثه من جديد فى رحم الأم أى إلهة النباتات.» (دوبوكور، ١٣٩٤ش:٢٠) وبما أن الأرض تعتبر أماً، فإنها تحتضن الجنين أو الأطفال كأم، ثم سيظهر هذا الجنين فى شكل عشب ويعود إلى مستوى النبات وسيستمر فى العيش بطريقة جديدة.

علق الدمية على الشجرة

من الوظائف الأسطورية للشجرة، الولادة والخصوبة، كما علّقت نساء هذه الرواية دمى مصنوعة من المعدن الأصفر على الشجرة وفقا لهذا الاعتقاد. «عشر نساء، بشعر قصير مثل الرجال، وجميعهنّ يرتدين قمصانا زرقاء بدون نقوش، ينفصلن عن الحشد. تتقدّم كل منهنّ للأمام بطريقة إيقاعية ومنسّقة ويحملن فى يدهنّ دمية من المعدن الأصفر اللامع، ويعلّقن الدميات على الأغصان راكعاتٍ، هامسات، ثم ينهضن وينحنين باتجاه السيقان تواضعاً.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٩٣٠)

تعليق الدمية على الشجرة يعتمد على الاعتقاد بأن الشجرة هى أم حقيقية وستعتنى بالأطفال بشكل خاص وتساعد أيضاً فى الإنجاب والخصوبة. ومن هنا فإن «الاقتراب من الشجرة ولمسها كلمس الأرض ميمون ومنشّط ومثمر. «أنجبت ليتو[1] آبولو وأرتميس عندما ركعت فى مرج ولمست شجرة نخيل مقدّسة. أنجبت الملكة مها مايا[2]، بوذا عند سفح شجرة سالا، عندما احتضنت فرعاً منه.» (الياذه، ١٣٩٤ش: ٢٩١) «ويشير اللون الذهبي للدمى إلى أن المرأة تريد الحياة فى البندقية، وتسعى لطرد الموت.» (فريزر، ١٣٩٤ش: ٣٤٦)

الالتجاء إلى الشجرة ووضع الحناء على فروعها

الإيمان بقداسة شجرة تين الأصنام دفع النساء للالتجاء إلى الشجرة وربط قطعة قماش بها لتلبية احتياجاتهنّ. «امرأة شابة تقف عند سفح ساق رفيع أمام مشفى وهى تردّد "بانتشا باماراً"، ثم تفرك ساق الحناء الخضراء، وأخيراً تلتقط قطعة قماش داكنة من سلّتها، وتنظر إلى السماء وتقول "هجاجا" بصوت مرتفع وتربط القماش بالساق.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٧٩١) «ربط قطع القماش أو الشرايط بالأشجار شائع بشكل واسع بين سكان البحر الأبيض المتوسط والهند. من العادات القديمة التى شوهدت فى مناطق مطلة على البحر الأبيض المتوسط إلى الهند، أن الشجرة الجميلة التى تنمو فى القرية بعيداً عن الأشجار الأخرى وغالباً ما تكون بالقرب من ينبوع ماء، تُعتبر مناسبة لإبطال السحر وتحقيق الأمانى، والنساء العاقرات يربطن مناديل حمراء بها.» (شواليه وجربران، ١٣٧٨ش، ج١: هامش مدخل الشجرة) «فى شمال الهند، تعتبر شجرة الكتان شجرة مقدّسة. فى الشهر الحادى عشر من شهر فالغون (فبراير)، يسكبون شراباً عند سفح الشجرة، ثم يربطون خيوطاً حمراء أو صفراء حول جذعها ويُصلّون من أجل خصوبة النساء والحيوانات والمحاصيل.» (فريزر، ١٣٩٤ش: ١٦١)

يمكن اعتبار قطع الأقمشة رمزاً للمرأة نفسها، لأنها تسعى إلى الوحدة والترابط

1. Leto
2. Maha- Maya

والتماسك مع الشجرة من أجل الحصول على الشراب (عصارة الأشجار) والحياة فى أى لحظة واكتسابها القوة الكامنة فى الشجرة. كما أن وضع الحناء على السيقان يدل على مبدأ الأنوثة والزينة للمرأة، ولونها الأحمر يدلّ على الصحة والسلامة.

تدمير الأشجار بمثابة قتل إنسان

صوّر أحمد محمود اهتمامات المرأة بطرق مختلفة قدر الإمكان. «عدم سقاية الأشجار وموتها التدريجى من قبل الرجال» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ١٢)، هو أحد أهم اهتمامات النساء فى هذه الرواية. يعتقد البدويون أن «كل نوع من الأشجار والشجيرات والنباتات والعشب له روح ... يعتقد الإنكا فى شرق إفريقيا أن كل شجرة، وخاصة شجرة جوز الهند، لها روح، وأن تدمير شجرة جوز الهند بمثابة قتل الأم، لأن هذه الشجرة كالأم، تمنحهم الحياة والغذاء.» (فريزر، ١٣٩٤ش: ١٥٤)

نساء هذه الرواية، عندما سمعن بقطع شجرة تين الأصنام، «لبسن ثياباً سوداء، وطوّقن الشجرة مطالباتٍ بعدم قطعها.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٢٣) ولكن قطع أحد فروع الشجرة تسبّب فى تدفق عصارة النبات منها. «يتدفّق من مقطع الغصن، عصارة النبات فتقطر على التربة.» (نفس المرجع، ج١: ٤٠)

«فى جميع أنحاء إفريقيا والهند، تعتبر الأشجار العصارية رمزاً لإلهة الحمل واللقح، ولهذا السبب تعبدها النساء وتعبدها أرواح الموتى الراغبين فى العودة إلى الحياة والأحياء.» (إلياذ، ١٣٩٤ش: ٢٧٢)

وبما أن هناك حبّاً للرعاية تمتاز بها كل من الأرض والمرأة، فإن الرواية تشير أيضاً إلى مهنتى "القبالة" (المرجع نفسه، ج١: ٣٥) و"التمريض". (نفس المرجع، ج١: ٣٥٢)

الهيمنة المتزامنة للرجال على الطبيعة والمرأة

فى المجتمعات الذكورية، كان جوهر القوة دائماً فى أيدى الرجال، وقد أدى هذا العامل إلى خلق عدم المساواة بين الجنسين وبرر هيمنتهم على الطبيعة والنساء. «خصوصية الأيديولوجية الذكورية هى أنها تخفى حقيقة سلطة الرجال. حيث إن الرجال وصفوا أنفسهم بالقوة بسبب قدرتهم على التحكّم فى الطبيعة. تجعل أيديولوجية الرجال عمل

الرجال على أنه مهم وضروری، ويقلّل من أهمية عمل المرأة ومهامها الإنجابية، مما يؤكد ويعزز هيمنة الرجل أكثر فأكثر.» (آبوت ووالاس، ١٣٩٣ش: ٢٧)

تبرز الهيمنة المتزامنة للرجل على الطبيعة والنساء فی هذه الرواية بشكل بارز. فينتقد أحمد محمود نقبی بمهارةٍ حضورَ الأجانب. وينتقد سيطرتهم على الوطن الأم، أو إله أمّ جميع الإيرانيين من ناحية، وهيمنتهم على المرأة الإيرانية من ناحية أخرى. فی هذه الرواية هناک شخصية أميركية تدعى "وولف" وهو مهندس التنقيب وحفر آبار النفط. لطالما كانت ثروات الأرض موضع اهتمام القوى الاستعمارية. خلال هذه الفترة سيطر الأمريكيون على إيران ومنحوا امتياز التنقيب عن النفط واستخراجه وبيعه للشركات الأجنبية. «الآن، من أجل إعطاء ياقة بمائة ألف دولار يبيعون النفط للعاهرات الوسيمات الأجنبيات.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٢٦١) إن تدمير الطبيعة من أجل تنقيب المزيد من النفط، هو أحد هيمنة الرجال فی هذه الرواية. «إذن أنتم مَن ينبشون الأرض ويمتصّونها!» (نفس المرجع، ج٢: ٤٧٦)

فی هذه الرواية، تمثل إقامة علاقة وولف الجنسية غير المشروعة بفتاة تدعى گل اندام هيمنة ذكورية أخرى على النساء، و گل اندام هی ضحية شهوة المهندس الأمريكی. فهی كانت تنوی الهجرة إلى الولايات المتحدة بوعود قطعها وولف لها. إن العلاقة غير المشروعة أصبحت وسيلة فعالة لتقييد گل اندام لتكون تحت إمرة وولف، لأنها حامل منه الآن. فی البداية تخفی البنت هذا الأمر، لأنها تعلم أنها ستواجه ردّ فعل المجتمع الذكوری، كما أنها تعرف أيضاً أنه «لا يوجد قانون للذئب، فمهما فعل، سواء كان خطأً أم لم يكن، فلا حرج فيه.» (نفس المرجع، ج٢: ٦٤٢) إلا أن الكشف عن علاقة وولف الجنسية غير المشروعة مع گل اندام دفع المهندس الأمريكی إلى استخدام حق الحصانة القضائية لمغادرة إيران بحجة إصلاح منصة حفر على الجرف القاری، وقُتلت گل اندام على يد خالها.

مهران هی إحدى الشخصيات الأخرى فی الرواية التی تبرز هيمنتها على الطبيعة والمرأة. انضم أولاً إلى عائلة اسفنديار كمستشار قانونی، وبعد وفاة اسفنديار تزوج زوجته أفسانه. قام أولاً بهدم العريشة، وهو إرث لعائلة اسفنديار آذرباد، ومليئة بالعديد

من الأشـجار وكروم العنب والشجيرات المزهرة، فحوّلها إلى "مجمّعات". «تحوم الأيدى والفؤوس فى بستان النخيل، والناس يسيرون فى حديقة الصفصاف، والجرافات تتحرك فى بسـتان الكرم، أما الأغصان والسـيقان والجذور، فقد تراكمت على بعضها سماداً .. والحفـارة الآلية مخيّمة فوق رؤوسـهم.» (محمـود، ١٣٧٩ش، ج١: ٣٢) بالإضافة إلى بناء المجمّعات، أقدم مهران أيضاً على بناء دور السـينما. إن إنشـاء دور السينما يعنى تدمير الطبيعة. «طلب المهندس إحضار الجص وأمرهم بتجصيص أسـاس مبنى السينما والمسرح.» (المرجع نفسه، ج٢: ٥٣٢) يتذكر فرامرز أن موقع التجصيص فى السينما كان مليئاً "بمساحات من الورود".» (المرجع نفسه، ج٢ : ٥٣٢)

بالإضافة إلى تدمير البيئة، شـتّت مهران أسرة أفسانة. ومهّد الطريق لانهيار الأسرة من خلال خلق شـرخ بين أفسانة وأولادها. فى البداية جعل أفسانه مدمنة بالمخدّرات، ثم فرامرز. وهو يعتقد أنه «إذا تم الإبقاء على حد معيّن من الأفيون، فإنه ليس بالشىء السـىء بل قد يكـون مفيداً أحياناً.» (نفـس المرجع، ج١: ٨٦) «شـوهد مهران يقول لشهربانو: شهرى خانوم، حضّرى الموقد، سأعطى المادام شيئاً من الأفيون، فإنه مفيد لها ويجعلهـا تهدأ.» (نفس المرجع، ج٢: ٤٨٨) أدرك مهران أنه من أجل الوصول إلى ثروة عائلة اسـفنديار الغنية، كان عليه أن يقلّل من دور الأمومة وسـلطتها حتى يتمكّن من تحقيق رغباته الدنيئة. كما أن فرامرز وفرزانة كان يشتكيان من حضور مهران ويعربان عن عدم رضاهما عن مهران فى الأسـرة بطرق مختلفة. «كم أنا إنسـان بائس لم أتذوّق طعم الحياة بعد، حتى ظهر فجأة شخص متطفّل شرس وحلّ مكان أبى.» (نفس المرجع، ج١: ١٤٥) إن فشـل أفسانة فى زواجها الأول والثانى جعلها تتجاهل أطفالها و«تترك حضانة أطفالها لمهران» (المرجع نفسه، ج٢: ٦٣٨) وبعد فترة ماتت أفسانة متأثرة بجلطة دماغية. فأدّى غياب الأم إلى توجيه ضربة قاسية للأسرة وتسبّب فى انهيارها.

تسليع كل من الطبيعة والمرأة

تسليع الطبيعة

«يتجلى بيع وشـراء أجزاء من الطبيعة اقتصادياً كحقيقة مؤثرة فى السياسة والثقافة

فى عصرنا ويظهر تحوّل الطبيعة إلى سلعة يمكن ملكيتها. تعدّ الملكية الخاصة للطبيعة واستخدامها لإنتاج السلع التى يحتاجها الفرد والمجتمع، جزءاً من التقدّم. ومن هنا يعطى الإنسان الحق لنفسه فى شراء وبيع عناصر الطبيعة مثل الأرض والمياه والنباتات والبذور وما إلى ذلک؛ لأنه يجدها مناسبة لاحتياجاته فى عمل تقسيم السوق. فتسليع الطبيعة أو رؤية الطبيعة كسلعة يحرمها من الحرية لدرجة أن الإنسان نفسه ينفر من البيئة التى توفر له البقاء.» (محمدى أصل، ١٣٨٨ش: ٤٦)

لقد كثف النظام الرأسمالى عملية التدهور البيئى فى هذه الرواية. دمّر مهران شهركى، باستخدام الثروة التى اكتسبها من عائلة آذرباد، العريشة وهى عبارة عن حديقة كبيرة جداً، وبدأ فى بناء المجمّعات فيها. بما أن الطبيعة كالمرأة يمكن للإنسان الاستمتاع بهباتها الإلهية، لكن النظام الذكورى استبدلها بسلعة يتداولها صفقة شرائية. ومن هنا نواجه سيطرة الثقافة على الطبيعة أو سيطرة الذكورة على الأنوثة. «فى المجمّع الجنوبى هناک خمسمائة وعشر شقق سكنية. فى ثلاثة أنواع من ستين متراً مفيدة بغرفة نوم واحدة، وثمانين متراً بغرفتى نوم، ومائة وعشرين متراً بثلاث غرف نوم. تم بناء المجمّع على خمسة طوابق. لا يوجد فرق بين الفئات من حيث السعر، إلا فى المعدّات و...» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ١٦٢) فتدمير البيئة، حقق ربحاً كبيراً لمهران.

تسليع المرأة

فى المجتمعات الذكورية، المرأة أدنى مكانة من الرجل. ومن ثم، فإننا نواجه نظرة جنسانية للمرأة. تعتقد سيمون دى بوفوار أنه «لا أحد يولد امرأة، لكنه يتحوّل إلى امرأة.» (سلدون وويدوسون، ١٣٩٢ش: ٢٦١) «فى المجتمعات الذكورية، يحدّد الرجل مفهوم الإنسان والمرأة. المرأة بما أنها ليست رجلاً، تتحوّل إلى "الآخر"، أى الشىء الذى يحدّد ويفسّر وجوده الرجل، أى الوجود المهيمن فى المجتمع. والمرأة التى تخضع دائماً للرجل، تعتبر نفسها أنها تلعب دوراً ثانوياً أو وهمياً فى أهم المؤسسات الاجتماعية الثقافية، مثل الكنيسة والحكومة والأنظمة التعليمية.» (بريسلر، ١٣٩٣ش: ٢٠١)

فى هذه الرواية، يُعتبر الرجال مظهراً من مظاهر الثقافة والفكر والذكاء الذين يمكن

أن يأخذوا زمام المبادرة من خلال ممارسة القوة الذكورية وبالتالى يطغون على الأصالة الوجودية للمرأة. ومن هنا نواجه نساء عاجزات ومعزولات وسلبيات، وهذا يعدّ عاملاً مهمّاً فى تفكيرهن وتسليعهن. فى هذه الرواية أيضاً، تم ذكر تسليع النساء واستخدامهن كأدوات بطرق مختلفة.

الزواج من أجل حقن الدم والمصالحة

من هيمنة الرجل على المرأة وتعبيرها سلعة، الزواج الذى يظهر فى هذه الرواية تحت عنوان "حقن الدم أو المصالحة"، فى نظام حقن الدم، «تتزوج فتاة من أقارب القاتل من قريب للضحية، يمكن اعتباره دية أو جزءا منه.» (رضوى فرد وآخرون، ١٣٩٥ش: ٢٣١) فى هذا التقليد، يمكن أن تكون الفتاة المختارة أختا للقاتل أو ابنته أو ابنة أخته أو ابنة أخيه. «فى بعض الأحيان، تعتبر الفتاة الصغيرة التى لم تبلغ سن البلوغ زوجة المستقبل لأحد الأولاد الصغار لأقارب المقتول، وهذا ما يسمى"قطع الحبل السرى". فى هذه الحالات، لا يتعامل أهل الضحية مع المرأة بشكل لائق وعليهنّ فعل ما يحال إليهنّ دون اعتراض. المرأة غير راضية عن وضعها حتى بعد مضىّ سنوات من الزواج.» (ماسورى،١٣٨٢ش: ٨٥-٨٤)

فى هذه الرواية هناك شخصية تدعى "طلا" (بمعنى الذهب) وهى ضحية مثل هذا التقاليد يتزوجها شيخ القبيلة لتجنّب العنف والدم.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٣٥) اسم طلا (الذهب) كونه يدلّ على قيمته المادية، هكذا أيضاً يُنظر إلى صاحبة الاسم على أنها سلعة تُعطى للشيخ مقابل دم الضحية. بالإضافة إلى معاناة الزواج القسرى، عليها أن تعانى من ضرّاتها الثلاث وأيضاً تتحمّل معاناة إجهاض توائمها الثلاثة، وهكذا «تزداد معاناة المرأة سوءا بعد سوء.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٣٨)

الدعارة والعُهر

من الانحرافات التى تظهر فى هذه الرواية ظاهرة الدعارة أو العهر التى تهدّد سلامة أى مجتمع. أزمة الدعارة هى نوع من العلاقة التجارية بين المرأة التى تعرض جسدها كسلعة والرجل كمشترٍ. فى هذا الصدد، فقدت المرأة هويتها وأصبحت شيئاً يخدم الرجل

وتتلقى المال مقابل الخدمات الجنسية. «اقترن البغاء بالاستغلال الجنسى وإذلال المرأة» (مهاجر، ١٣٨٠ش: ٣٢)، مما «يوجّه إضفاء الشرعية عليه رسالة للرجال مفادها أن المرأة سلعة جنسية وبغاء، و هى إحدى وسائل التسلية غير المؤذية للرجل.» (ريموند، ١٣٨٧ش: ٢٦)

تدمير البيئة وبناء دور السينما وعرض فيلم "العاهرة الشريفة" (محمود، ١٣٧٩ش ،ج٢: ٧٩٢) لقد أوجد ترابطاً مهمّاً بين الاستخدام الفعال للطبيعة والمرأة. من ناحية، دمّر مهران شهركى الطبيعة تماماً وبدأ ببناء دور السينما، ومن ناحية أخرى استخدم النساء أداة لنشر الفساد فى المجتمع من أجل تحقيق طموحاته الشخصية. وهذا يثير عجب تاج الملوك: «لا قدّر الله أتكون العاهرة شريفة ونبيلة... كأن مهران خان يقصد القضاء على الحياء والعفّة والأخلاق عند الناس، لا وفّقه الله.» (نفس المرجع: ٧٩٢)

الفقر والفاقة من المشاكل التى تظهر فى هذه الرواية والتى عصفت بالناس كافة. يرى دوركهايم التقلّبات فى الظروف الاقتصادية كأحد الأسباب الرئيسة للانحراف. وهكذا، فى أوقات الأزمات والركود، يزداد الفقر والبطالة ويقلّ التفاؤل بين الناس ما يؤدى إلى تضعيف معنوياتهم. مع انخفاض الدخل وضعف الأسس الاقتصادية للمجتمعات، فإن جرائم مثل؛ الدعارة والقلق النفسى وزيادة الخلاف الأسرى تزداد سوءا بعد سوء. «التنمية الاقتصادية مرتبطة أيضاً بزيادة استهلاك الكحول والقمار والجنس غير المشروع والمتعة المفرطة.» (فرجاد، ١٣٧٤ش: ١٢٣)

وبالتالى، يمكن أن يكون الفقر والعوز عاملاً فى دفع نساء هذه الرواية إلى الدعارة وسوقهنّ إلى رجال أغنياء مثل جعفر باغى. «يقول أصدقائى إن جعفر الحقير يخلو كل يوم بامرأة وراء المتجر ويعطيها ثماراً جيدة.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج٢: ٨٠٠) الثروة هى بمثابة أداة فى يد الرجال فى هذه الرواية، يمكنهم من خلالها استخدام النساء كسلعة لخدمة احتياجاتهم الجنسية وجعلها تحت سيطرتهم.

المرأة والغناء والرقص

يتسبب تسليع أو تشيؤ المرأة فى أن يسود موقف التفوق الجنسى للذكور على جميع

مستويات المجتمع وتهميش المرأة. فى مثل هذا الموقف، لا يُرى إلا جسد المرأة فلا هويّة لها فى المجتمع. فى هذه الرواية أيضاً، «الغناء النسائى» (المرجع نفسه، ج٢: ٨٩٥) و«صورة راقصة شبه عارية فى ملهى ليلى» (المرجع نفسه، ج٢: ٩٠١) إنما هى أداة للمزيد من الاستغلال فى الرواية، والتى يمكن اعتبارها مثالاً ممتازاً لـ "العبودية الحديثة" التى شجعت الفساد وتدمير وتفكك الأسرة. واستخدام النساء كدعاية مقابل القليل من المال لمصلحة الرأسماليين، ما هو إلا إذلالاً وإهانة للمرأة وتقليلاً لقيمتها ومكانتها فى المجتمع.

العنف المتزامن ضد الطبيعة والمرأة

العنف ضد البيئة وتدميرها

تدمير البيئة من قبل الإنسان يشكّل أحد الهواجس التى تظهر فى هذه الرواية والتى تؤدى إلى العديد من الأزمات البيئية. هذه الأزمات متجذّرة فى التفكير الرأسمالى والنفعى. فى هذه الرواية، يتم تدمير البيئة من قبل الرجال. فالرجال، بالإضافة إلى هيمنتهم على المرأة فى الأسرة، فهم يهيمنون أيضاً على البيئة وقد تسبّبوا فى أضرار جسيمة لكليهما. اتخذ العنف ضد الطبيعة ثلاثة أشكال: تدمير الزهور والطبيعة، وصيد الطيور والحيوانات، وتلوث البيئة، وندرس كلاً منها أدناه.

تدمير الشجيرات المزهرة وقطع الأشجار، له آثار مدمّرة على مستوى المنطقة ويزيد من اتساع رقعة التصحر فى المناطق الاستوائية. تدمير الغطاء النباتى من أجل بناء مجمّعات سكنية يعدّ أحد مظاهر العنف ضد الطبيعة من قبل الرجال. «صوت جرّ المنشار على خشبة مبللة ... شرارة مطرقة الفأس تحت ضوء الشمس، شجرة النخل الطويلة تهتز، وتنقلب، والغبار يرتفع.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج١: ٢٦) يؤدى تدمير الأشجار إلى الموت التدريجى للطيور والحيوانات، لأن الأشجار هى موطنهما وتلعب دوراً هامّاً فى الحفاظ على الحياة فى الأرض. كما ظهرت الأضرار التى لحقت بالأشجار من قبل الرجال فى شكل «لصق نشرة، ودقّ جرة على شجرة، وصنع قصب من شجرة خشب الأبنوس.» (المرجع نفسه: ٣٦٢، ١٧و٦٠٣)

يهـدّد صيد الطيور والحيوانات النظام البيئـى للحياة البرية، وهو ما يتجلّى فى هذه الرواية بشـكل بارز. أدت سيطرة الرجال الضارة على الطبيعة إلى الصيد غير المنضبط للطيـور والحيوانات مثل العصافير والببغاوات والحمام والخنازير وما إلى ذلک. «رفع فرامرز رأسـه ونظر عبر أوراق الشجر. رأى الببغاء جالسة على إحدى أشجار النخيل العالية. صوّب، وسـحب الزناد، صوت طلقـة فى الحديقة ... » (نفس المرجع، ج١: ٣١) «حمل فرامرز بندقيته الهوائية، واقفاً فى حديقة الصفصاف الجنوبية؛ وأصاب حمامتين مع بعض من العصافير.» (نفس المرجع، ج١: ٣٦٧)

لعنف الرجال ضد الطبيعة أسـبابٌ عديدة فى هذه الرواية، يمكن الإشارة إليها وهى؛ البطالة والإدمان وانعدام الأمن فى الأسـرة. كمـا أن تصوير الرجال فى الرواية تصوير سيء، معظمهم مدمنون على المخدّرات وعاطلون عن العمل. ومن هؤلاء الرجال "نسى آفتابـه" وهو مدمن وليس له عمل ويصطاد الطيور، قد ظهر عنفه بـ «فصل رأس حمامة وهى على قيد الحياة، عن جسمها.» (نفس المرجع، ج٢: ١٠٠٦)

ومن أساليب الاستغلال المضاعف الأخرى للطبيعة من قبل الرجال، القتل العشوائى للحيوانات مثل؛ الأغنام والماعز لإنتاج الجلود والمنسوجات الأخرى. فى هذه الرواية، تُسـتخدم جلود هـذه الحيوانات لإنتاج "أحذية جلدية" (نفـس المرجع، ج٢: ٩٤١) و "صوف مكثف" (نفس المرجع، ج٢: ٩٩٢) «صوف سميک وثقيل منسوج من شعر الماعز الأسـود معلّق على الشـرفة الجنوبية لشجرة تين الأصنام. نقشـت خطوط شعر الماعز الأبيض غير الواضح على هامش الصوف.» (نفس المرجع، ج٢: ٩٩٢)

يعـدّ التلوث البيئى من أهم القضايا الحادة الناجمـة عن التدهور البيئى الذى يهدّد دورة الحياة. يشير التلوث البيئى إلى تلک الأنشطة البشرية التى عرّضت حياة الكائنات الحية للخطر بشـكل مباشر أو غير مباشر. فى هذه الرواية، يشمل التلوث البيئى تلوث المياه والتربة والهواء، والذى تسـبّب فى أضـرار للطبيعة لا يمكن إصلاحها، والتى يمكن الإشارة إلى بعضها؛ «رمى أعواد الثقاب المحترقة فى الماء.» (المرجع نفسه: ٦٦٦ و٢٩٧)، «رمى أعقاب السـجائر على الأرض.» (٤٧٧ و١٧٦)، «البصق على الأرض» (المرجع نفسـه: ١٧)، «إلقاء القمامة فى مطعم للوجبات الخفيفة» (المرجع نفسـه: ٥٣١)، «إلقاء

بقايا الطعام فى الطبيعة»، «التنقيب فى الأرض» (نفس المرجع: ٤٧٦) وما إلى ذلك.

أدى تدمير البيئة، بحجة تطوير المجمّعات السكنية، من قبل العالم الصناعى الذكورى واستخدام الآلات الصناعية، إلى زيادة التلوّث الصوتى للنظام البيئى. «صوت الجرافة يعلو وينخفض. آلة اللحام تنطفئ. تدور ذراع الحفارة الميكانيكية ثم تجثو على الأرض وتتحرك خزانات الأسمنت الصاخبة ... تأتى شاحنات التراب، وتمرّ عبر كومة من العارضة الحديدية وتخرج من الجانب الجنوبى من الحديقة المسيجة.» (نفس المرجع، ج١: ١٦٣) «تميل خزانات الإسمنت فى الحديقة وتذهب إلى أسفل المبنى. تمرّ أمامه شاحنات ترابية تثير الغبار الناعم فى الفضاء. تضع تاج الملوك المنديل على فمها.» (نفس المرجع، ج١: ١٦٨) «تنخفض رائحة البيتومين الساخن ويكون الدخان أيضاً أقلّ تكثيفاً.» (نفس المرجع، ج١: ٩٣)

أدى اختفاء الغطاء النباتى وتدمير الأشجار من قبل الرجال بالمجتمع إلى استخدام "الزهور الاصطناعية". «زُينت مكتبة المدينة بالورود والنباتات وكلّها اصطناعية، فتبدو أكثر نضارة وجذابية من الزهور والنباتات الطبيعية.» (نفس المصدر: ٩٧٣)

العنف ضد المرأة

العنف الجسدى

«يعدّ العنف آلية قوية للرقابة الاجتماعية. العنف الذى تتعرض له النساء فى العمل وخوفهن من عنف الذكور يحدّ بشدة من أنشطتهن.» (آبوت ووالاس، ١٣٩٣ش: ٢٤٣) الزواج بالإكراه هو مثال على العنف الجسدى. إن الافتقار إلى السلطة والحرية والحق فى اختيار الزوج، هو أحد عوامل ضغط المجتمع الذكورى على الفتيات. «النظام الذكورى، هو نظام عائلى اجتماعى وأيديولوجى وسياسى يحدّد فيه الرجال بالقوة أو بالإكراه أو عن طريق استخدام الطقوس والاحتفالات، القانونَ واللغة والعادات والتقاليد والتعليم والهياكل الموجودة فى المجتمع، وما هو الدور الذى يمكن أن تلعبه المرأة أو لا يمكن؟» (مشيرزاده، ١٣٨٢ش: ٢٧٧)

إن اعتبار الفتيات كشىء واستخدامهنّ آلياً أدى إلى تجاهل حقّهن فى اختيار الزوج

ومقاومة الفتيات لأى شكل من الأشكال يعدّ تطاولاً ضدّ والديهنّ. فى هذه الرواية، تُعارض زرى الزواج من جعفر باغى، لكن يد الله يحاول إجبارها على ذلک من خلال الإساءة والعنف الجسدى. «لكن بابا، ضربنى فى أذنى بشدّة حتى ظلت آثار أصابعه الأربعة على وجنتىّ لأربعة أيام.» (محمود، ١٣٧٩ش، ج٢: ٦٩٦) فى هذه الرواية، تعتبر زرى سلعة مقابل حصول يد الله على "محلّ للفواكه" (المرجع نفسه، ج٢: ٨١٨) والتخلى عن وظيفته فى المنجم إلى الأبد. «طبعا هذا الزواج أنقذ والدک من الفقر والفاقة، ولكن حياتک تدمّرت وعمرک ضاع.» (نفس المرجع، ج٢: ٩٩٧)

فى الواقع، أدّت الضغوط الاقتصادية وثروة جعفر باغى إلى أن تقتنع جواهر بتجاهل رغبات ابنتها، وتتفق مع زوجها أوس يد الله فى تحقيق هذه الرغبة. تقول "جواهر": ماذا أقول، أنا لست راضية جداً، لكن يد الله يصرّ ويقول: جعفر باغى ولا غير .. أرى من جهة، إنه على حق. يقول: طوال حياتى كنت أتمنى وجبة طعام راقية وشهية، وطقم ملابس أنيقة وسفراً للزيارة بقلب مطمئن، ولم يحدث. والآن بعد أن حالف الحظ ابنتى أردّه، فلماذا أردّ حظها؟ (نفس المرجع: ٧٨١) يؤدى نظام السلطة الأبوية وما يعرف بالبطريركية على مستويات المجتمع المختلفة، إلى فرض مثل هذه الزيجات على الفتيات ويعتبر احتجاجهن ومعارضتهن نوعاً من الصلافة والغطرسة يجب التصدّى لها و ارتكاب العنف الجسدى ضدّهنّ.

العنف الجنسى

إن النظرة المادية للمرأة ونظر الرجال للنساء كأشياء قد تسبب فى أن الرجال مثل؛ "العقيد غول جاليز" و"المهندس اسكندر"، أن يسعوا بنظراتهم المسمومة للمرأة، إلى المزيد من تلبية احتياجاتهم الجنسية والحيوانية. «عينا العقيد تتساقطان كالسهم من خلف البلّور على المرأة التى ترتدى تنورة قصيرة وشعرها البنى الطويل يتدلّى من الجانب الأيسر من رقبتها على صدرها .. العقيد يفتح الباب. لا يقول شيئا. المرأة تمرّ من أمامه. حزام حقيبتها طويل والحقيبة تلعب على فخذها العارى، العقيد يسير خلفها. يتذمّر محمد: أيها المذهول، إذا نظر إلى امرأة يرتبک يا له من تعيس!» (نفس المرجع:

٩٣٩) «ينظر اسكندر إلى المرأة؛ يرى أن بياض عينيها يلوح فيه بريق أزرق ... ينفضّ رأسه محدّقاً فى عينى المرأة.» (نفس المرجع، ج١: ١٦٣-١٦٢)

واجهت النظرة الجنسية للمرأة انتقاداً من قبل نساء هذه الرواية وأثار ردود فعلهنّ على هذا النوع من النظرة: «تتمتم زرى عندما ترى گل جاليز: الرجل الحقير لا يخجل، يلقّح المرأة بنظراته.»(المرجع نفسه: ٦٠٦) إن تسليع المرأة يجعلها تعتقد بأن وظائفها تهميشية فى الحياة ولن يكون لها تأثير فى جوهر الحياة، وهو ما يمكن اعتباره مثالاً واضحاً على العنف ضد المرأة الذى استهدف كرامة المرأة ومكانتها على حد سواء.

جرائم الشرف

جرائم الشرف هى الجرائم التى تلطخ فيها المرأة شرف الأسرة وكرامتها. إن وقوع جرائم القتل هذه، متجذر فى ثقافة المجتمعات الذكورية والمعادية للمرأة. بما أن المرأة تعتبر سلعة للرجال ولا تتمتع بالشرعية اللازمة فى هيكل المجتمع الذكورى، إذا تعرضت للاغتصاب أو مارست الجنس غير المشروع، فإنها ستواجه العنف والعقاب.

فى هذه الرواية أيضاً، تتعرّض گل اندام للإيذاء والقتل على يد النظام الذكورى بعد أن مارست الجنس غير المشروع مع المهندس الأمريكى وولف وحملت منه. ارتكب جريمةَ القتل خالُ گل اندام بالتعاون مع والدها. «يتمتع الخال "رضا" بشخصية متعصبة ومتحمسة» (المرجع نفسه: ٦٦٩)، يخدع البنت بذريعة النصح وأخذها إلى نزهة، فيضعها فى سيارته، ثم يقتلها بأبشع طريقة ممكنة فيقطع رأسها. «كبّل الخال رضا يديها وقدميها ثم قطع رأسها من الأذن إلى الأذن. يقال إن الخال رضا دفن جثة گل اندام فى أنقاض فرن المطبخ ولفّ رأسها فى مترين من الحرير الأخضر وأخذها إلى أختها.» (نفس المصدر: ٦٦٨)

المواقف السلبية تجاه المرأة، وعدم المساواة بين الجنسين، والتحيّزات العرقية والعائلية، هى من بين العوامل المؤثرة فى ارتكاب الخال "رضا" جريمة القتل. الإيمان بالطبقات الثقافية المتداخلة، على المستوى العام للمجتمع، وممارسة الضغط والسلطة على والد گل اندام، يدفع الأب الذى شاهد بنفسه كيف ترعرعت ابنته فى البيت

العائلـــى، إلى الموافقة على قتلها. إن ارتـــكاب مثل هذه الجرائم عمداً فى بنية المجتمع، يقوم على أساس تفوّقية الرجل ودونية المرأة. «يمارس الرجال الهيمنة المنهجية فى جميع المجـــالات التى تخصّ المرأة، وجميع العلاقات بين الرجل والمرأة هى عبارة عن علاقات قوّة ... تستفيد من خلالها الطبقة الذكورية من دونية المرأة.» (أبوت ووالاس، ١٣٩٣ش: ٢٩٦ -٢٩٥)

العنف اللفظى

فى المجتمعـــات الذكورية، يعدّ الرجل هو الجنس الأقوى والمرأة هى الجنس الثانى، وبالتـــالى فإن الرجال يمارســـون الســـلطة على النســـاء. ما يبرز فى هـــذه الرواية، هو الاســـتخدام المتكرر للألفاظ البذيئـــة من قبل الرجال فى مواجهتهم النســـاء، مما يؤكد وجود بنية سلطوية غير متكافئة وغير متوازنة فى المجتمع. «يقول يد الله: لا إله إلا الله من أية امرأة لا تفهم الكلام.» (نفس المصدر: ٥٨٥) «شـــعر فرامر. بالملل، اصفرّ وجهه وصاح: اصمتى يا فرزى! وإلا بعثرت وجهک.» (نفس المصدر: ٣٠)

النتيجة

النسوية البيئية هى إحدى النظريات الأكثر شيوعاً فى العقود الأخيرة فى مجال النقد الأدبى، والتى انبثقت عن الصلة بين البيئة والنسوية. تقوم النسوية الإيكولوجية بدراسة الهيمنـــة المتزامنة للرجال على الطبيعة والمرأة، وتنتقد وجهات النظر الرأسمالية والنفعية للرجال والطبيعة على حدّ سواء.

تحتوى رواية شـــجرة تين الأصنام على بعض وجهات نظر الحركة النســـوية البيئية، ويتعمـــق أحمد محمود، من خلال تصويـــر المجتمع الذكورى بذكاء، فى الوضع الراهن بين المرأة والطبيعة ويرسم صورة واضحة عن الهيمنة الذكورية. فى أجزاء مختلفة من الرواية، يتناول أحمد محمود أولاً العلاقةَ بين المرأة والطبيعة، وهى أحد عناصر النســـوية الثقافية البيئية، ثم يشير إلى تسليع الطبيعة والمرأة فى البندقية، وكذلک عنف الرجال ضدّهما.

فى هذه الرواية توجد شجرة تسمى "تين الأصنام" تتشكل الأحداث فى هذه الرواية حول محور هذه الشـــجرة. بما أن الشجرة تتمتع بقوة الإنجاب والخصوبة والتجديد، فهى

مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمرأة. هذا العامل قاد النساء إلى الشجرة وعبادتها. كانت عبادة الشجرة شائعة فى العديد من الدول ويمكن العثور على مصادرها فى هذه الرواية؛ قدّست النساء الشجرة بربط وعلق قطعة قماش أو ما شبه ذلک بالشجرة، وتعليق دمية فى أغصانها، ووضع الحناء على سيقانها، فيطلبن من الشجرة العلاج وتلبية حوائجهنّ. لكن النمو المذهل للشجرة، وكذلک تطور بناء المجمّعات، تسبّب فى تدمير الرجال للشجرة. بما أن تدمير الأشجار يشبه قتل الأم، فقد أعربت النساء بارتدائهن ملابس سوداء عن تعاطفهنّ مع الشجرة ومنعهنّ قطع أغصان هذه الشجرة.

فى هذه الرواية، تبرز الهيمنة المتزامنة للرجال على الطبيعة والمرأة. وتشمل الشخصيات الذكورية فى هذه الرواية كلاً من مهران شهركى والأمريكى وولف اللذين دمرّا البيئة من ناحية لتحقيق مكاسب شخصية، ومن ناحية أخرى، من خلال ممارسة السيطرة والسلطة على النساء حيث تسبّبا فى تفكک الأسرة. إن هيمنة قوة الرجال، هى القوة المنتجة الوحيدة التى أدت إلى تهميش الطبيعة والنساء وتسليعهما. إن أيديولوجيا القوة، هى أهم أداة فى اضطهاد الطبيعة والمرأة من قبل الرجال، وقد اعتبر رجال هذه الرواية الطبيعة سلعة وتداولوها بزيادة من الاستغلال، ومن خلال بناء المجمّعات السكنية خلقوا تحدّيات بيئية كبيرة. نظر رجال هذه الرواية إلى المرأة بعين آلية واعتبروها "الآخر"؛ واستخدموا أدوات مثل؛ الزيجات غير المشروعة، والدعارة، والغناء، والرقص، لتشيئ النساء وبالتالى تهميشهنّ. من خلال دراسة علاقات القوة فى هذا المجتمع المتمحور حول الرجل، يمكن الوصول إلى محاولة الرجال تفوقية الرجل ودونية المرأة. ومن العناصر النسوية البيئية الأخرى، ظاهرة عنف الرجال ضد الطبيعة والنساء؛ ينعكس العنف ضد الطبيعة فى التدمير الواسع النطاق للنباتات، وصيد الطيور والحيوانات، والتلوث البيئى والتلوث الصوتى، والعنف ضدّ المرأة ظهرت فى الرواية على شكل العنف الجسدى والجنسى واللفظى وما إلى ذلک. فى هذه الرواية، هناک تباين وتضاد كبير بين الرجل والمرأة يحمل دلالات عميقة ، وأدت أدوار الرجل المفروضة على المرأة إلى إبقاء المرأة على حياة روتينية؛ غالباً ما تكون المرأة سلبية وليس لديها أى تطوّر وتحوّل فى الحياة. لذلک، من خلال دراسة عناصر ومكوّنات النسوية البيئية

الثقافية فی هذه الروایة، یمکننا شـرح أیدیولوجیة السلطة الذکوریة والهیمنة علی المرأة فی ظل هیکل المجتمع المعقّد.

المصادر والمراجع

آبـوت، پاملا ووالاس،کلر. (١٣٩٣ش). جامعه‌شناسـی زنان (علم اجتمـاع المرأة). ترجمة منیژه نجم عراقی. طهران: نی.

الیاده، میرچا. (١٣٩٤ش). رساله در تاریخ ادیان. ترجمة جلال ستّاری. طهران: سروش.

برسـلر، چارلز. (١٣٩٣ش). درآمدی بر نظریّه‌هـا و روش‌های نقد ادبی (مقدمة فی نظریات ومناهج النقد الأدبی). ترجمة مصطفی عابدینی‌فرد. طهران: نیلوفر.

پارسـاپور، زهـرا. (١٣٩٢ش). نقد بوم‌گرا؛ ادبیات و محیط زیسـت (النقد البیئـی؛ الأدب والبیئة). طهران: پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی (معهد الدراسات الإنسانیة والثقافیة).

_____ وآخـرون. (١٣٩٦ش). «خوانش اکوفمنیسـتی رمان اندوه جنگ، با تکیه بر رابطه فرهنگی و نمادیـن» (قراءة نسـویة إیکولوجیة لروایة حـرب الأحزان، بناء علی العلاقـة ثالقافیة والرمزیة). پژوهش‌نامه زنان (مجلة المرأة). المجلد ٨. ص ٢١-١.

تانگ، رز مری. (١٣٩٤ش). نقد و نظر: درآمدی جامع بر نظریّه‌های فمنیستی (النقد والآراء: مقدمة شاملة للنظریات النسویة). ترجمة منیژه نجم عراقی. طهران: نی.

دوبوکور، مونیک. (١٣٩٤ش). رمزهای زنده جان. ترجمة جلال ستّاری. طهران: مرکز.

رضوی‌فرد، بهزاد و همکاران. (١٣٩٥ش). «بررسـی آثار ترمیمی اجرای مراسم خون صلح، مطالعه موردی در اسـتان کرمانشاه» (دراسة آثار حقن الدم والمصالحة، دراسة حالة فی محافظة کرمانشاه). حقوقی دادگستری (العدالة القانونیة). س٨٠. العدد٩٤. ص ٢٣٤- ٢١٧.

ریموند، جانیک جی. (١٣٨٧ش). «ده دلیل برای قانونی نشـدن روسـپی‌گری» (عشرة أسباب لعدم جعل الدعارة قانونیة). ترجمة رضا آذری محبّی. سیاحت غرب. ش٦٣. ص ٢٩-٢١.

سـلدون، رامان و ویدوسـون، پیتر. (١٣٩٢ش). راهنمای نظریّه ادبی معاصر (دلیل النظریة الأدبیة المعاصرة). ترجمة عباس مخبر. طهران: طرح نو.

شـوالیه، ژان و گربـران، آلـن. (١٣٧٨ش). فرهنگ نمادها (ثقافة الرموز). ترجمة سـودابه فضایلی. طهران: جیحون.

صدقه، جان. (١٣٧٨ش). «درخت در اساطیر کهن» (الشجرة فی الأساطیر القدیمة). ترجمة محمّدرضا ترکی. شعر. ش٢٦. ص ١٤٥-١٤٠.

عزیزی، علی و تقوی، مصطفی. (١٣٩١ش). «مروری بر سیر تطوّر اخلاق زیست محیطی» (لمحة عامة عن تطور الأخلاق البیئیة). نامه سیاسـت علم و فناوری (رسالة سیاسة العلوم والتکنولوجیا). س٢.

ش ١. ص ٥٦- ٤٥.
عنايت، حليمه و فتح‌زاده، حيدر. (١٣٨٨ش). «رويكردی نظری به مفهوم اكوفمنيستی» (مقاربة نظرية لمفهوم النسوية البيئية). مطالعات جامعه‌شناسی (دراسات فی علم الاجتماع). س٢. ش٥. ص ٦٣-٤٥.
فرجاد، محمّد حسين. (١٣٧٤ش). آسيب‌شناسی اجتماعی و جامعه‌شناسی انحرافات (دراسة الباثولوجيا الاجتماعية والانحراف فی علم الاجتماع). طهران: بدر.
فريزر، جيمز جورج. (١٣٩٤ش). شاخه زرّين، پژوهشی در جادو و دين (شاخه زرّين، دراسة فی السحر والدين). ترجمة كاظم فيروزمند. طهران: آگاه.
قويدل رحيمی، يوسف. (١٣٨٦ش). «نظريه گايا و شكل‌گيری نگرش‌های نو در علوم طبيعی» (فرضية غايا وتأسيس مواقف جديدة فی العلوم الطبيعية). محيط‌شناسی (علوم بيئية). العدد٤١. ص٦٨-٥٥.
گرين، ويلفرد و وآخرون. (١٣٩١ش). مبانی نقد ادبی (أصول النقد الأدبی). ترجمة فرزانه طاهری. طهران: نيلوفر.
ماسوری، شكوفه. (١٣٨٢ش). «خی‌صُل». انسان‌شناسی(نامه انسان‌شناسی). العدد٣. ص ٩٢-٧١.
محمّدی اصل، عباس. (١٣٨٨ش). زنان و محيط زيست (المرأة والبيئة). طهران: شيرازه.
محمود، احمد. (١٣٧٩ش). درخت انجير معابد (شجرة تين الأصنام). طهران: معين.
مشيرزاده، حميرا. (١٣٨٢ش). از جنبش تا نظريّه اجتماعی: تاريخ دو قرن فمنيسم (من الحركة إلى النظرية الاجتماعية: تاريخ قرنين من النسوية). طهران: شيرازه.
مهاجر، فيروزه. (١٣٨٠ش). «فمنيست‌ها و مسئله روسپی‌گری» (النسوية والدعارة). فصل زنان. ش ١١. ص ٣٣- ٢١.
Bucking Hatfield, Susan.(2000).Gender and Enviroment. New York: Rutledge.
Warren,Karen .(1990)."The power and promise of Ecological Feminism". Enviroment. Ethics journal. vol 12.